هل يستمر الوفاق بين حماس والسلطة؟

■ حميدي العبدالله

لعب الوفاق الفلسطيني ووحدة الوفد الذي فاوض العدو الصهيوني عبر مصر لوقف إطلاق النار، دوراً بارزاً في تحقيق النتائج التي تمّ التوصل إليها، سواء في المفاوضات أو في الميدان. ولولا الوفاق الفلسطيني لما كانت هذه الوحدة الشعبية التي سجلت على امتداد أيام العدوان الـ(51) وفشل الوفد الصهيوني باللعب على صراعات الفلسطينيين أثناء التفاوض على وقف إطلاق النار وتماسك المقاومة حول شروطها لوقف إطلاق الصواريخ ضدّ المستوطنات الصهيونية.

ثمة مؤشرات تثير القلق حول استمرار الوفاق بين السلطة وحركة حماس يخشى أن تؤدّي إلى عودة الشقاق وإلى ضياع ما تحقق، وتؤثر سلباً على المفاوضات التي ستجري لاحقاً من أجل استكمال الاتفاق على التهدئة الدائمة وطويلة الأمد التي يسعى إليها العدو بالدرجة الأولى. تتجلى المؤشرات المقلقة بالآتي:

أولاً، عودة التراشق السياسي والإعلامي بين فتح وحماس، إلى ما كان عليه الحال قبل العدوان الإسرائيلي، وإذا ما استمرّ هذا التراشق وتصاعَد فإنّ ذلك سيؤثر سلباً على استمرار الوفاق.

ثانياً، المساعي التي تبذل من جهات دولية عديدة، ولا سيما الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، لتحويل عملية إعادة إعمار غزة إلى فرصة لتحقيق نزع سلاح المقاومة عبر شروط محددة، أو على الأقلّ النيل من قدرات المقاومة التسليحية، أي تحقيق، عبر السياسة وعبر الإعمار، ما عجزت عن تحقيقه الحملة العدوانية التي شنّها الكيان الصهيوني على قطاع غزة وذهب ضحيتها أكثر من (13) ألف شهيد وجريح إضافة إلى آلاف المنازل المهدّمة ومئات المصانع المدمّرة، وما يوازيها من إتلاف للمزارع.

ثالثاً، السعي إلى إعادة السلطة الفلسطينية وأجهزتها المختلفة إلى قطاع غزة، ليس على قاعدة احتفاظ المقاومة بقدراتها العسكرية الردعية إزاء الكيان الصهيوني، بل على أساس محاولة تعميم أنموذج الضفة الغربية، ونقل هذا الأنموذج إلى القطاع، الأمر الذي يعني مشروع حرب أهلية فلسطينية تحقق للعدو من خلال التدمير الذاتي ما عجز عن تحقيقه منذ احتلاله للقطاع في عام 1967 وحتى الآن.

صحيح أنّ فصائل المقاومة يقظة إزاء هذه المشاريع المشبوهة، وصحيح أيضاً أنّ السلطة الفلسطينية تدرك خطورة الإنسياق وراء مثل هذه المشاريع أولاً، على الشعب الفلسطيني وثانياً، على وجود السلطة ذاته، ولكن الطرف الآخر متمثلاً بالولايات المتحدة والكيان الصهيوني وبعض حكومات المنطقة مصمّم على وضع الفلسطينيين أمام خيارين لا ثالث لهما: إما قبول هذه المشاريع المشبوهة، وإما لن تكون هناك أية أموال لأجل إعادة إعمار غزة وبناء ما هدمه العدو الصهيوني في حربه الهمجية التي استمرت لأول مرة في تاريخ المواجهات العربية الصهيونية (51) يوماً.

ملاحظات في طريق الانتصار...

■ رامز مصطفى

ما أن أعلن عن وقف إطلاق النار بين المقاومة الفلسطينية، والعدو الصهيوني بمبادرة مصرية. ودخول التهدئة حيّز التنفيذ لمدة شهر، حتى بدأت تتوالى الملاحظات على أداء البعض من الفصائل. آخذة خطاً تصاعدياً، فيه مزيج من الحذر والترقب والخوف، وشيء من اليأس والتشاؤم، وشيء من القرف والسخط. هذه الملاحظات التي أوردها ليست من باب تسجيل النقاط على أحد، ولكن من خلفية أنني والكثيرين من أبناء شعبنا الفلسطيني، أصابتنا الدهشة والاستغراب، إلى حدّ الصدمة، متسائلين: هل هذه فصائلنا التي واجهت العدوان الصهيوني ببسالة وثبات وشجاعة منقطعة النظير وهي موحدة في الميدان، وفي المفاوضات؟ ودعوت الله أن جزءاً من هذه الملاحظات ظلّ مكتوماً طيلة العدوان الصهيوني بأيامه الواحد والخمسين، وإلاّ فالكارثة كانت واقعة لا محال على رأس الجميع. وهذه الملاحظات أسجلها حسب أولوياتها. ولكن هناك ملاحظة لا بدّ من سوقها وهي تتعلّق بمصر ومبادرتها لوقف النار.

1 ـ الدور المصري والمبادرة

لا يختلف اثنان في تقييم الدور المصري، خلال العدوان الصهيوني، من حيث الإقرار بأن الدور المصري لم يكن يتناسب على الإطلاق مع حجم وحضور وإمكانيات وتأثير مصر، بل جاء مخيّبا للآمال، ولم يرتق إلى مستوى ما تعرّض له الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، نتيجة العدوان البربري والهمجي الصهيوني، الذي ارتكب أبشع المجازر في حرب إبادة موصوفة، بحق الأطفال والنساء والمسنّين، ودمّر المنازل والمدارس والمساجد والمستشفيات، والبنى التحتية. وقد كان المنتظر من مصر الشقيقة أن تتعاطى مع غزة وأهلها وأقلها من الزاوية الإنسانية. من هنا كانت أغلب المواقف الفلسطينية ساخطة، لأنّ الصدمة في ما يشبه حدّ التخلّي كانت كبيرة. وما زاد عليها أنّ العديد من الإعلاميين والصحافيين والمثقفين والفضائيات المصرية، كانت شامتة، ومطالبة العدو بسحق قطاع غزة. وإنْ كنا نتفهّم أنّ الدولة المصرية لها من الملاحظات التي وصلت إلى حدّ الاتهام لحركة حماس أنها متورّطة في المسّ بالأمن القومي المصري، الأمر الذي نفته حماس. وبغض النظر عن صحة هذه الاتهامات أو عدمها، إلاّ أنّ خلط الأمور بهذه الطريقة أساء إلى مصر ودورها وثقلها وحجمها.

وإذا ما قسنا على الأمر فالدولة السورية لها موقف واضح من حماس لانغماسها في الأزمة السورية، ولكن القيادة السورية لم تقع في الخلط، بل اعتبرت العدوان على القطاع عدواناً عليها، وأنه يعنيها مباشرة. أما في المبادرة المصرية، فالكثير من الفصائل رفضها، على اعتبار أنها لا تختلف في نقاطها عن مبادرة العام 2012. وفي نهاية الأمر الوفد الفلسطيني الموحد، ومن ضمنه حماس، حضر إلى القاهرة من أجل البحث في وقف إطلاق النار، والاتفاق على تفاهمات جديدة وفق شروط ومطالب الشعب الفلسطيني ومقاومته. ومع الإعلان عن الاتفاق على وقف لإطلاق النار لمدة شهر، والعودة إلى المفاوضات. ومع ما تمّ كشفه وتسريبه، لا بدّ من القول إنّ العناوين التي تمّ الحديث عنها، سواء ما سمعناه مباشرة، أو ما نشر في وسائل الإعلام. فهذه العناوين ليست بعيدة للأسف عن تفاهمات العام 2012، ما لم نقل إنها متطابقة.

وعليه، هل ما صرح به رئيس السلطة الفلسطينية السيد محمود عباس إلى عدد من وسائل الإعلام في الأيام الأخيرة كان صحيحاً، بأنّ هناك من أهدر الوقت والأيام وفي نهاية المطاف وافق على المبادرة المصرية؟ وأنّ التهجّم على مصر لم يكن له مبرّر، سوى أنه انطلق من خلفية أنّ هناك خلافات قائمة بينها وبين البعض في الساحة الفلسطينية.

وما أضاف على كلام رئيس السلطة من توكيد أو تأكيد، ما صرح به الدكتور علي أكبر ولايتي مستشار الإمام السيد الخامنئي «أنّ انتصار الشعب الفلسطيني وصموده ضدّ العدوان الإسرائيلي الغاشم على قطاع غزة لم يكن ليتحقق لولا دعم مصر».

على ضوء ذلك إذاً، ومن موقع الإقرار بالدور المهمّ لمصر وموقعها وتأثيرها، المطلوب العمل على ترميم ما أصاب هذه العلاقة من سوء، لما فيه المصلحة المشتركة المصرية – الفلسطينية، خصوصاً أنّ العدوان لم ينته، والصراع لا يزال قائماً.

2 ـ الإعلان عن التهدئة واحتفالات الانتصار

ما أن أعلنت التهدئة، حتى بدأت الفصائل والسلطة بعقد المؤتمرات الصحافية، والإطلالات الإعلامية من أجل الإعلان عن التهدئة، ومن ثم شرح ما تمّ التوصل إليه في المفاوضات الغير مباشرة، التي دارت على مدار أكثر من عشرين يوماً. والأغلب حتى لا نقول الجميع أخذ منحى كلامه وحديثه الشخصنة الفصائلية (لتنظيمه)، في محاولة للإيحاء بأنّ جهده الأساس من دون الفصائل الأخرى. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل استرسل البعض في تنظيم مسيرات الانتصار والاحتفالات لوحده، من دون مشاركة الفصائل الأخرى في هذه الاحتفالات والمسيرات والمهرجانات. والأنكى في الأمر أنّ العلم الفلسطيني تنتظر إليه في هذه الاحتفالات والمسيرات، وكأنه يتيم بين أعلام الفصيل المحتفل بالمناسبة.

كم كان مشهد الوحدة الميدانية، والوفد الموحد مؤثراً وطاغياً على المشهد الفلسطيني بالمعنى الإيجابي. ماذا كان يضرّ لو استكمل هذا المشهد مساره في الظهور موحدين في الإعلان عن التهدئة، والدعوة إلى الاحتفال بالنصر. ولكن وكما علّق أحدهم على هذا المشهد الغير وحدوي بالقول «عادت حليمة لعادتها القديمة»، في إشارة إلى الانقسام. وماذا كان يضير الفصائل أن تجتمع وتتخذ التوجه بأن يبقى كلّ شيء موحداً، كما في الميدان والتفاوض، وفي الإعلان عن وقف النار ومؤتمرات واحتفالات ومسيرات الانتصار. والعزاء الوحيد الذي يخفف من وقع هذه الملاحظة، هو حقيقة أنّ الكتائب المسلحة والمقاتلة من عموم الفصائل، ويتقدمهم المجاهد أبو عبيدة الناطق باسم كتائب القسام، أبت هذه الكتائب مجتمعة إلاّ أن تكون موحدة في مؤتمرها الصحافي، التي لها الحق وحدها في الإعلان عن الانتصار. وكأنها أرادت القول: هنا الميدان وهنا القرار.

3 ـ شركاء الانتصار

في زحمة المؤتمرات والإطلالات والاحتفالات، اختلط كثيراً من كان شريكاً للمقاومة والشعب الفلسطيني في الانتصار على العدوان وآلة القتل والإرهاب والإجرام، حتى كاد الكثيرون وأنا منهم يقول: «إذا كان كلّ ما أتُي على ذكره في المؤتمرات الصحافية، على أنهم شركائنا في الانتصار. إذاً من هم الذين ما زلنا نتهمهم بالصمت المريب ونديناهم بأشدّ العبارات؟ وخصوصاً الرؤساء والملوك والأمراء منهم، ناهينا عن الجامعة العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي. وقد ذهب البعض في شكره وامتداحه لهؤلاء من خلفية ما رآه أنه الصواب، على أساس التموضع والتخندق القائم. وهذا حقه في ما تراه عينيه. ولكن في الوقت نفسه، ليس من حقه أن يلغي عقلنا، ويعمل على كيّ وعينا، بطريقة تهدف إلى تشويه هذا الوعي المستند إلى وقائع. وعلى سبيل الذكر لا السجال، لا يمكن أن يلغي أحد من وعينا أنّ دولاً وإمارات وممالك بعينها متورّطة في ما تعرّض ويتعرّض له محور ممانع ومقاوم يمتدّ من إيران إلى سورية وصولاً إلى حزب الله. فكيف يكون هؤلاء المتورّطون أمناء على مقاومة الشعب الفلسطيني، وقضيته العادلة. وهنا لا أريد أن أسقط قناعاتي بهدف أن ألزم الآخرين بها. أنا أطالب بالتوازن، أو الحدّ الأدنى من التوازن، وهذا أضعف الإيمان. صحيح أنّ الجغرافية السياسية غالبة في أكثر الأحيان، ولكن هذا لا يمنع أن يتمّ الحديث عن الشركاء الحقيقيين لنا في هذا الانتصار. والذين أراهم في محور يمتدّ من إيران إلى سورية، وحزب الله، الذين لولا دعمهم ووقوفهم إلى جانب مقاومة الشعب الفلسطيني، لما جاء هذا الانتصار على صورته الحقيقية، فهم جديرون بهذه الشراكة، شراكة الانتصار.

4 ـ عودة السجال بين حماس وفتح

عاد السجال السياسي والإعلامي بين حماس وفتح من جديد. ولم تجفّ بعد دماء الشهداء، ولم تتوقف دموع الآباء والأمهات والأبناء، حزناً على فراق الأحبة. وحيث لا يزال فيه شعبنا يلملم جراحه، ويعمل على الاستيقاظ من هول المجازر والدمار التي خلفها العدوان. وفي الوقت الذي لم تنته فيه مفاوضات القاهرة، وليس هناك من يضمن نتائج هذه المفاوضات، بمعنى أنّ الحرب لم تنته، وقد يُعاود العدو تجديد عدوانه. وفي الوقت الذي أكدت فيه الفصائل، والوفد الموحد، أنّ الوفد «الإسرائيلي» كان يتعامل معنا على أساس أنّ وفدنا منقسم على نفسه. مما يعني بشكل واضح، أنّ العدو كان يراهن على خلافات الوفد الفلسطيني. سيل الاتهامات المتبادلة من شأنها أن تؤثر على تماسك الوفد الفلسطيني، فهو أمامه مهام شاقة، ومعركة لا تقلّ ضراوة عن المعركة العسكرية. هذا السجال وهذه الاتهامات، وفي ظروف بالغة الدقة والخطورة، لا مبرّر أو معنى لها. وبالتالي جعل هذا السجال المقيت عبر وسائل الإعلام واستمراره، من شأنه أن يفاقم في تعقيد المشهد الداخلي الفلسطيني. نعم قد تكون هناك ملاحظات وممارسات، وهي غير إيجابية وتسيء إلى الجميع. المستحسن أن يتمّ البحث في كلّ هذه الملاحظات والمواقف، في الإطار القيادي الفلسطيني الموقت، الذي نصّ عليه صراحة اتفاق المصالحة، وعليه أن يتولى البحث في مجمل الأوضاع الفلسطينية، إلى حين إجراء الانتخابات. والأخطر في هذه السجالات والاتهامات توقيتها، فما هي الرسالة التي تلقاها شعبنا، وتحديداً في قطاع غزة لهذه الخلافات المستجدة. بالتأكيد رسالة أقلّ ما يُقال فيها إنها غير مريحة، بل صادمة. وهذا أمر لا يجوز على الإطلاق ومرفوض. وعلى الفصائل مجتمعة أن تقوم بواجباتها الوطنية إزاء هذا المستجدّ الخطير على الجميع. من خلال دعوة الطرفين إلى ضرورة التوقف الفوري عن السجال وكيل الاتهامات لبعضهما بعضاً، وبالتالي وقف كافة الإجراءات الميدانية المتبادلة سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة. وقد آن الأوان لأن تبادر هذه الفصائل والقوى إلى تشكيل القوة الثالثة في الساحة الفلسطينية على أساس ما جاء في وثيقة الوفاق الوطني.

حلف روسيا وإيران وسورية بخير...

تدور في كلّ مرحلة الشكوك المتبادلة، وتسيطر حال القلق في أوساط محبّي اطراف الحلف الثلاثي الذي غيّر معادلات العالم خلال عقد ونصف العقد من القرن الحادي والعشرين، وتوّجها بحروب باردة وحارة من أوكرانيا إلى سورية ولبنان وفلسطين.

محبّو كلّ طرف يقلقون من الاستفراد، به ومحبّو الحلف كمحور يبشر بالخير يقلقون على جوهر المعركة وخطر ضياع المتراكم من تضحيات وانتصارات في لحظة اقتراب القطاف بسبب مساومات تفكك الحلف وتضيّع انتصاره.

كثيراً ما كان يحدث أن يذهب المتحالفون إلى الحرب معاً، سياسية كانت أم عسكرية أم اقتصادية ويقتربون من النصر لكنهم يذهبون إلى السلم منفردين، فيضيع نصرهم، لأنّ الوهم يأكل نفوس كلّ منهم بأنه الأقدر على القطاف فتكون الحصيلة «أكلنا جميعا يوم أُكل الثور الأبيض».

واشنطن تعلم علم اليقين أنها أعجز من الفوز بحروبها على الحلف الروسي السوري الإيراني، لذلك كان كلّ جهدها ألا يترجم كحلف، وأن يتصرف اطرافه بمواقع مصلحية يمكن التباين بينها، ويمكن للتباين أن يتيح الاستثمار على إضعاف مصادر القوة التي يمنحها كلّ منها للآخرين وإضعاف فرصه بالإفادة من مصادر قوتهم في حربه.

قدمت سورية إلى حليفيها حرباً كاملة منتصرة يستقويان بها في صياغة معادلة جديدة إقليمية ودولية، وقدمت روسيا مظلة ديبلوماسية وعسكرية لحليفيها فمنعت قراراتٍ جائرة بحقهما تستخدم مجلس الأمن غطاء لحرب ضدّهما، ووفرت سلاحا رادعاً في حروب البرّ والبحر والجوّ، بينما قدمت إيران أسباب القوة في الجغرافيا والقدرة المالية والعسكرية وجعل الخليج كمركز هامّ في المصالح الأميركية بحيرة معرّضة للاشتعال كلما دقت ساعة حرب.

وصل الحلفاء إلى ربع الساعة الأخير، وهو الأصعب، بعدما فازوا بحربين تفاوضيتين خطيرتين، هما حرب النووي الإيراني والكيميائي السوري وأظهروا نضجاً وحكمة وقدرة.

ليس هناك المزيد من الوقت للترف لدى الأميركي يضيّعه في الرهانات، والطريق الوحيد لتفادي ولادة معادلة دولية إقليمية قاتلة لا رجعة عنها تبدو في الأفق إذا استمرت الأمور على حالها، أن يرمي بورقته الرابحة التي يمثلها المشروع التكفيري بنسخته الجديدة «داعش»، ويخاطب كلّ من أطراف الحلف على انفراد، ليست مشكلتي معك بل مع حليفيك فتعال إلى صفقة منفردة، لسورية يقول: نتغاضى عن نصر الجيش الداخلي والأنظار على «داعش» تبرّر تنسيقاً متدرّجاً يصل لاحقاً إلى تطبيع العلاقات، ولإيران يقول: نسهّل ملفك النووي ونرتضي نفوذك في العراق واليمن والخليج، ولروسيا يقول: نحلّ معاً الأزمة الأوكرانية ونحترم مصالحك الحيوية في البلقان والقرم والقوقاز.

الهمّ الأميركي أن تشتغل الشكوك والظنون بين أطراف الحلف بتوظيف كلّ إيحاء تقارب ولو ظرفي مع أحد أطرافه لنشر الأقاويل عن انفراط الحلف وتخلّي أطرافه عن بعضها.

المعلومات التي يؤكدها الحلفاء والأصدقاء ومن يتابع من أصدقاء مشتركين أنّ الحلف لم يكن بمتانة وصلابة ما هو عليه اليوم، وأنّ كلّ عرض يصل إلى أحد أطرافه ترسل نسخة منه مفصلة مع شرح دقيق إلى حليفيه، ويتمّ تقدير موقف مشترك لطبيعة جواب يخدم المصالح العليا للحلفاء من دون التفريط بالمصالح الوطنية الملحّة لكلّ من أطراف الحلف.

لا صفقة إيرانية أميركية من وراء ظهر سورية وروسيا... هذا هو خبر اليوم، كما كان خبر الأمس: لا صفقة أميركية روسية من وراء ظهر وعلى حساب سورية وإيران، كما سيكون خبر الغد: لا صفقة سورية أميركية بالتخلّي عن الحلف مع روسيا وإيران.

العروض الأميركية المنفردة هي فوائد ترتبت عن استثمار رأسمال هو التحالف الثلاثي، والغبي وحده يتخلى عن الرأسمال ويتلهّى بالفوائد.

الحلف الروسي السوري الإيراني بألف خير.

«توب نيوز»

انكشفت مبادرة 14 آذار

– ظنّ البعض بعض الذكاء في مبادرة 14 آذار وفطنة لزرع الفتنة.

– نية المقايضة بين سحب ترشيح سمير جعجع وسحب ترشيح العماد ميشال عون والمضاربة بين العماد عون والنائب سليمان فرنجية بإغراء الثاني الحلول مكان الأول.

– كلّ ذلك كان...

– لكن المبادرة ليست عملاً سياسياً تحدّدت أهدافه على هذا الأساس.

– القضية الأصلية هي حلّ خلافات داخلية بين حلفاء 14 آذار، فقد أعلن جعجع ما تضمّنته المبادرة، أي الاستعداد للتسوية حول الرئاسة واعتبار ترشيحه مسحوبا لهذه الغاية.

– كان اتفاق جعجع مع حلفائه أن يصدر بيان عن 14 آذار مجتمعة تعلن أنها لن تفاوض على الاستحقاق الرئاسي ككتل نيابية منفردة، وبصورة خاصة أن يعلن المستقبل أنه لن يعقد صفقة رئاسية من وراء ظهر جعجع.

– لم يحدث ذلك وتأزّمت العلاقات إلى حدّ التهديد بفرط 14 آذار.

– قال جورج عدوان في المؤتمر أنّ الأهمّ هو أنّ 14 آذار ستفاوض مجتمعة، فصفّق فارس سعيد الجالس بقرب سمير جعجع يحضران على التفاز وقائع الإعلان عن المبادرة.

– كشف البصل سرّ اللعبة.

التعليق السياسي

نحو إعادة صياغة الوعي العربي

■ راسم عبيدات ـ القدس المحتلة

على ضوء ما يشهده العالم العربي من فتن مذهبية وطائفية وعرقية واثنية، وسيادة ثقافة الإقصاء والتكفير والتخوين «والتدعيش» للوعي والحياة الاجتماعية والثقافية في المناطق التي سيطرت عليها ما يُسمّى بدولة الخلافة في العراق والشام، وما رافقها من تفكّك للدولة المركزية الى دويلات طائفية ومذهبية، تتحكّم فيها ميليشيات وبلطجية وزعران، وعكس هذه الثقافة لنفسها، ليس فقط على الواقع السياسي العربي، بل هذه الثقافة التخريبية والمدمّرة تطال بشكل أساسي النسيج المجتمعي في العالم العربي، حيث أصبحنا امام مجتمعات عشائرية وقبلية وجهوية وطائفية ومذهبية، لا يربطها رابط بواقعها ومحيطها الوطني والقومي، وواضح أنّ هناك مشروعا سياسيا خطيرا، يجري تنفيذه من أجل نحر هذه الأمة، وجعلها امة خارج التاريخ البشري العاقل، بحيث تتحوّل دولها الى كيانات اجتماعية هشة ودول فاشلة كما هي الحال في الصومال وليبيا والعراق الذي تتعرّض للتفتيت والتقسيم، وهذا المشروع تشارك فيه قوى محلية (المتأسلمون الجدد)، «داعش» و«النصرة» والسلفية والإخوان المسلمون والوهابية، ورغم اختلاف التسميات فهي نفس المنتج والماركة والمصنع، ولكن مقتضيات السياسة والعلاقات الدولية، تقتضي تغيير التسمية بناء على الدور والوظيفة والمهمة لكلّ واحدة منها، هذه القوى وغيرها من القوى المتأسلمة الأخرى والتي تريد ان تعلي حزبيتها وهويتها المذهبية فوق هويتها الوطنية والقومية، وهذه الثقافة عكست نفسها هواجس وخوفاً عند باقي مركبات ومكونات المجتمعات العربية الأخرى، حيث وجدنا العديد من تلك المركبات والمكونات تنسحب نحو هويتها الطائفية والمذهبية على حساب الهوية الوطنية والقومية، وبدأت بخلق تنظيماتها السياسية ومؤسساتها المجتمعية على أسس مذهبية وطائفية وعرقية، وبما يكشف بأن المستهدف من هذا المشروع الخطير، هو الفكر والهوية القومية العربية، وهذا المشروع الخطير، ليس حوامله فقط هم القوى المتأسلمة، بل هناك قوة دفع كبيرة تقف خلف هذا المشروع، تشارك فيها قوى عربية وإقليمية ودولية، حيث أننا نقف على مفترق طرق ومعركة مصيرية ومفصلية، حيث تخاض الآن حرب شرسة وطاحنة لتصفية وإزالة ما تبقى من جيوب المشروع القومي، وحيث جرت وتجري عملية تصفية لتركته، هذا المشروع الذي شهد تراجعاً كبيراً بعد اتفاقيات كامب ديفيد، بخروج مصر بثقلها العسكري والسياسي والبشري من هذا المشروع، وليبلغ المشروع ذروته بتدمير العراق ومن ثم احتلاله، حيث جرت خلخلة كبيرة وشروخ عميقة في جدار النسيج المجتمعي العراقي، وانقسم المجتمع العراقي مذهبياً وطائفياً وعرقياً وأثنياً، ولم نعد امام مجتمع عراقي ودولة مركزية واحدة (دولة ديكور)، يجمعها نفس الهدف والمصير، او ان مصلحة العراق فوق مصلحة الجميع، بل تمّ استدخال الفتنة الى المجتمع العراقي، وفق مخطط مدروس وممنهج (مشروع الفوضى الخلاقة الأميركي)، فواضعو وأصحاب هذا المشروع، أرادوا له التقدم على محورين، محور أسلمة الفتنة سنية – شيعية وتطبيقها بجعلها إسلامية – مسيحية، على ان يجري نقل الفتنة من مستواها الرسمي الى الشعبي، وهذا الدور عهد به للمرجعيات الدينية، وعربياً وإقليمياً ودولياً، كان يجري تصفية حساباتهم والصراع على مصالحهم فوق أرض العراق وبدماء العراقيين انفسهم، حيث أصبحنا أمام عملية تقسيم حقيقية للجغرافيا العراقية دويلات سنية وشيعية وكردية، تتناحر وتتصارع، وتفعل فعلها في تدمير المجتمع العراقي، وبما يلغي هويته القومية.

ودخل عامل جديد على خارطة ولوحة الصراع والتقسيم في العراق، هو سيطرة دولة الخلافة على قسم كبير من الأراضي العراقية، وما قامت به من جرائم ومجازر وحشية، تصل الى حدّ التطهير العرقي و«الهولوكست» بحق الأيزيديين في جبال سنجار قرب الموصل، والعرب المسيحيين في العراق العائد وجودهم في المنطقة وتحديداً في الموصل الى حوالى (2000) عام.

وخطر «داعش» لم يعد مقتصراً على العراق وسورية، بل تمدّد نحو لبنان والأردن، وهذا الفكر وتلك التيارات تنمو وتتكاثر في البيئة والمجتمعات المغلقة والمتخلفة، والتي لم تعرف الحياة المدنية وتداول السلطة والمجتمع المدني، كالسعودية والإمارات وقطر وغيرها، ولذلك مقاومة تلك الجماعات التكفيرية والشاذة والمغرقة في التخلف والرجعية في المشرق العربي ذي الحضارة والمدنية والمؤسسات الحزبية والمدنية، يدفع بهذا الخطر وتلك الجماعات، لكي ترتد نحو نحو دفيئاتها وصنّاعها وحواضنها والبيئة المناسبة لها في الخليج العربي.

حملة هذا المشروع والمخطط، يدركون جيداً بأنّ نجاح هذا المشروع يتوقف بشكل أساسي، على تصفية حوامله الأساسية، مصر وسورية، فبتصفية هاتين الحلقتين يسقط المشروع القومي، بشكل نهائي، وتفقد الأمة خصائص وجودها كأمة، ويستعاض عنها بدويلات مذهبية وطائفية وعرقية، أو دول دينية غير قادرة على البقاء، لأنها غير قادرة على التعبير عن كلّ مكوّنات ومركبات مجتمعاتها.

كان واضحاً أنّ مشروع الفتنة تقدم نحو العراق، ولكن كان مطلوباً له وللفوضى الخلاقة، ان تتقدم باتجاه حلقات وجيوب المشروع القومي الأخرى، التي تقف في وجه المشروع الأميركي للمنطقة، فكانت الحرب العدوانية التي خاضتها «إسرائيل» بالوكالة لأول مرة على المقاومة اللبنانية وفي المقدمة منها حزب الله في تموز/2006، لخلق ما يُسمّى بالشرق الأوسط الكبير، ولكن لم تنجح اميركا و«إسرائيل» في ذلك، بفعل صمود حزب الله.

على ضوء ذلك رأت اميركا أنه من أجل ضرب حلقات المشروع المقاوم والممانع، إقليمياً وعربياً، ايران سورية وحزب الله والمقاومة الفلسطينية، فلا بد من التقدم على صعيد شعبنة الفتنة المذهبية، وخلق ادوات جديدة مقبولة شعبياً وجماهيرياً قادرة على لعب هذا الدور، بعد أن استنفذت الأنظمة الدائرة في فلك اميركا قدراتها على لعب هذا الدور، حيث لم تعد مقبولة لا جماهيرياً ولا شعبياً (النظام التونسي، اليمني، المصري، الليبي)، فكانت ثورات ما يسمى بالربيع العربي، الاستفادة منها من اجل عقد صفقة مع الإخوان المسلمين لتسليمهم السلطة في تلك البلدان، مقابل حماية المصالح والأهداف والمشاريع الأميركية في المنطقة، والاستفادة منهم وتطويعهم من أجل تقدم المشروع الأمريكي في المنطقة (مشروع الفوضى الخلاقة)، وبالفعل بعد تسلم الإخوان للسلطة في تونس ومصر وليبيا، صعد الإخوان بدعم مباشر ورئيسي من مشيخات النفط (قطر والسعودية) من حربهم المذهبية تجاه ايران وحزب الله وسورية، ولعبوا دوراً مركزياً في الحرب التي تشن على سورية، من اجل كسر هذه الحلقة المركزية، باعتبارها آخر جيوب المشروع القومي الذي تجب إزالته وتصفيته، ولكن تعثر المشروع هنا، حيث صمدت الحلقة السورية ومعها الحلقة اللبنانية المقاومة، وتعثر مشروع الإخوان، بسبب عقلية الإخوان الإقصائية وفكرهم الانغلاقي وعماهم السياسي وجهلهم وتخلفهم الإداري، وتم إسقاط هذا المشروع عبر الإرادة الشعبية، التي عبّرت عنها الجماهير المصرية، حيث تمّ عزل الرئيس المصري مرسي، وجاء على انقاضه حكم العسكر بقيادة السيسي،والذي حتى اللحظة الراهنة،يواجه ازمات داخلية وحالة من عدم الاستقرار وعدم وضوح رؤيته وبرنامجه السياسي على الصعيد الخارجي، وإن كانت الحرب العدوانية الأخيرة على قطاع غزة، قالت بشكل جلي وواضح بأن هذا النظام لم يخرج من العباءة والحضانة الأميركية، وواضح ايضاً بأنّ الجماعات التكفيرية والإخوان المسلمين سيدخلون مصر في اتون الفتنة المذهبية والطائفية، تلك الفتنة التي تستهدف مصر كحاملة للمشروع القومي.

ولذلك بات من الملح، أن تجري عملية مراجعة شاملة للفكر والوعي العربي، مراجعة وصياغة تطال المفاهيم والبرامج والرؤى، من اجل خلق مجتمعات مدنية، تتسع لكل أبناء الوطن الواحد، تتساوى فيها في الحقوق والواجبات، وتصان فيها الحريات العامة والخاصة والكرامات، ويجري التعبير فيها عن همومهم وطموحاتهم، وتوحدهم عبر مشروع عربي نهضوي قومي واحد، فالدول الدينية لن تكون بأي شكل من الشكال جامعةً وموحدا للأمة، ومعبرة عن هويتها وقوميتها، بل ستغرق المجتمعات العربية في اتون صراعات وخلافات ومذهبية وطائفية وعرقية، تجرنا الى الخانة التي يريدها أصحاب المشاريع المشبوهة لأمتنا، مشاريع التفتيت والتقسيم على أساس الثروات والعوائد والمذهب والطائفة.

Quds.45@gmail.com

اليمن في مواجهة الغدة السرطانية الإخوانية

■ فهد المهدي

عزل نظام صالح لا يعني أن مشاكل اليمن قد انتهت، فثلاثة عقود من الحكم تركت من دون شك تركة ثقيلة للغاية من المشاكل التي أنتجت واقعاً مزرياً للمجتمع اليمني استهدفت البنية التحتية لقيم الانسان اليمني وتدميرها، ومن ثم تدمير وجوده الفاعل في الحياة العملية والثقافية والسياسية على حدّ سواء.

دخول اليمن في الحقبة الجديدة بقيادة الرئيس هادي وجماعة الإخوان المتسمّية بـ«حزب الإصلاح»، والتي كان يعوّل عليها المواطن اليمني الفرج من هذه المشاكل، او على أقلّ تقدير إخراجه من بعض مشاكله التي يعاني منها، للآسف وجد نفسه أمام مشهد أسوأ من المشهد السابق، فساد بلا حدود، وأمن منفلت ومشاريع إنمائية مجمّدة، أخونة الدولة حيث تمّ تعيين المئات من العناصر الإخوانية الغير مؤهلة، في كلّ مفاصل الدولة المدنية والعسكرية خلال الفترة الماضية.

خروج الجماهير اليمنية بزخم لا مثيل له في صنعاء وباقي محافظات اليمن بدعوة من السيد عبد الملك الحوثي قائد جماعة «انصار الله» تعبير واضح وصريح عن سخطها الكبير على الواقع السياسي الذي يحكم المجتمع اليمني، من خلال الإشارة الصريحة للانفصامات والانقسامات والفساد الحاصل في النظام الحاكم، فحمّلته الجزء الأكبر من المسؤولية عن هذا التردّي المزري الذي يعيشه المجتمع اليمني.

ولعلّ هذه النظرة لا تقتصر على المواطن اليمني فحسب بل هي موجودة عند السياسيين والمثقفين اليمنيين... فهم يدركون تماما أنّ الفصل الظاهر في هذه المؤامرة الكبرى قد تمثل في تعاطي السلطة الممثلة في حقيقتها في حزب «الإخوان « في اليمن الذين «أبدعوا» في التجييش لتفرقة اليمنيين وجعلهم طوائف مذهبية وقبلية متعدّدة لتحقيق أهداف ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، ويدركون كذلك انّ هناك فصلاً خفياً لهذه المؤامرة يديره آخرون ضمن مخطط مدروس يتحرك في صميم الوسط اليمني، لكن الأسئلة التي تطرح نفسها بقوة هنا هي: كيف وجد الإخوان هذا المخطط ومنفذوه في اليمن أرضاً خصبة للمباشرة بتنفيذه؟ وهل يشكل هؤلاء المنفذون وحدهم ادوات هذا المشروع؟ ام أنّ هناك من يشكل ادوات مساعدة لهم تعمل بطريقة غير مباشرة؟

ان دراسة متأنية للواقع الاجتماعي والسياسي اليمني تجيبنا على كل هذه الاسئلة بشكل واضح ودقيق، فأرض اليمن من شمالها الى جنوبها مزروعة بالقنابل الموقوتة التي يمكن تفجيرها الواحدة تلو الأخرى لتقوم بإرباك الساحة وإلهائها، فمن خلافات وانقسامات سياسية الى تعدد في الولاءات والانتماءات الحزبية والمذهبية الى تسقيط وتشهير الجهات السياسية بعضها لبعض، حتى اصبح الطابع الذي يطبع العمل السياسي اليمني هو طابع التناقضات والمزايدات العلنية على التضحيات الكبيرة التي قدمها الشعب اليمني، مما فسح المجال لذوي النفوس المريضة من انتهازيين ونفعيين الى ان يصطادوا في الماء العكر فيتحوّلوا الى ادوات في المخطط الذي ذكرناه آنفاً، حيث بدأت الساحة تضخ عناوين هجينة لم تزد العمل السياسي اليمني إلا سوءاً من أجل الهاء الشارع اليمني تارة، وإدخال عناصر غربية تارة أخرى، وغرابة هذه العناصر تؤدي في الأخير الى تكتل المجتمع اليمني الى جماعات وطوائف، تتناحر فيما بينها لتكون نتيجة ذلك تمزيق المجتمع اليمني ذاته بذاته، او على أقل تقدير إضعاف معنويات الشعب اليمني بحيث لا تقوم له قائمة.

وهذا ما يعمله بالضبط حزب «الإخوان» الحاكم في اليمن حيث وجدوا في اليمن ارضاً خصبة ساعدتهم كثيراً في تنفيذ مخططاتهم الذي يستهدف الإجهاز على ما تبقى للمجتمع اليمني في جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة الى استغلالهم الى عوامل الضعف الذاتية والموضوعية التي تطبق بخناقها على التنظيمات الإصلاحية المعتدلة ومؤسساتها، وهذا بمجمله أدّى الى الفشل الذريع الذي ترك بصماته الكثيرة في نفسية المواطن اليمني.

الإخوان اليوم يستعدون لمخطط خطير يدخل اليمن في نفق مظلم بعد أن ايقنوا انهم فقدوا انفسهم وشعبيتهم وأهدافهم وبقائهم، فأصبحت ورقتهم التي يراهنون عليها هي «الدم»، فتاريخ الإخوان الدموي مع العمليات والاغتيالات عريق ومديد وبحاجة لحلقات متكاملة وبحث مستفيض فيكفي أن يشير المرشد أو القائد لفظياً بخروج شخص ما عن نهج الأمة او أنه عائق أمام توسع الجماعة لتصبح فتوى ملغمة وجاهزة لمن يلتقطها ويتبناها فوراً وينفذها ويترجمها عملياً على أرض الواقع.

تحركات الكهنوت الإخواني الرجعي المستبدّ والعميل، لإجهاض تحركات الشعب اليمني بكلّ أطيافه الذي يناضل من أجل أن يستعيد إنسانيته وحقوقه المنهوبة، كشف عن مستور الخبايا السياسية والأيدي الخفيّة الداعمة للتوجه الإرهابي في الدولة، فالهجين المختلط بين الإخوان والقاعدة والتي أنجبتا مسخ «داعش» وتمّ استنساخها في أعنف صورها وشذوذها الدموي بحسب العمليات الوحشية اللاإنسانية التي لا ترقى حتى للحيوانية، لنقف أمام نموذج مخز وحالة بشعة مزرية من الانحطاط السافر للأصولية الدينية الى اقصى درجات مستنقع الرذيلة والانهزام والتجرّد الإنساني والنفسي والأخلاقي من آدميتها وشعورها، يسعون راهناً لخلقه في اليمن لجعله ساحة مفتوحة للإرهاب، وخلط الأوراق لتحميل «انصار الله» الفاتورة كاملة.

في الأخير لا بدّ من ان نؤكد على أنّ السكوت والتهاون مع هؤلاء الرجعيين ومدّ اليد اليهم باسم الحوار والمصلحة هو أشبه ما يكون بالتصالح مع الشيطان، ويعتبر ببساطة خيانة عظمى وجريمة يعاقب عليها القانون والضمير الإنساني والشرائع السماوية، فبتر هذه الغدة السرطانية من الوسط اليمني كفيلة بأن يستعيد هذا البلد عافيته من جديد.